

تلميح:

لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم.

وكل هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية، وتهتم أيضاً بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبث عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر والإخبار... إلخ وفي ضوء هذا التصور تحاول المقاربة التداولية الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المهمة مثل:

ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ من يتكلم إذن؟ وإلى من يتكلم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة، أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء، ونريد شيء آخر؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟

هذه جملة من الأسئلة التي حاولت فرانسوا ز أرمينكو (Francoise Armingaud) بحث إجابة عنها في كتابها المقاربة التداولية، وذلك من خلال تقديم كتابها بالتعريفات التي عرضت للتداولية، وكيف ظهرت وتكونت الدراسة التداولية، وأهم المفاهيم التي تهتم بها الدراسة للتداولية من مفهوم الفعل ومفهوم السياق ومفهوم الإنجاز، ثم انطلقت إلى الغرض الرئيسي من كتابها وهو: دراسة جوانب الدراسة التداولية من الرموز الإشارية، وأفعال اللغة، والمعنى الحرفي والمعنى التواصلية. ولكن على الرغم من أهمية الكتاب في المقاربة التداولية إلا أنه كتاب تغلب عليه مسحة الترجمة، لذلك سأحاول الانطلاق من الأفكار التي عرضتها فرانسوا، مع الإحالة ما أمكن لكتابها عند عرض أفكار قد عرضتها، مستعينة في الدراسة بكتب عربية ناقشت الموضوع - مثل كتاب أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود نحلة، ودراسة عبد الهادي الشهري لإستراتيجيات الخطاب - ، والتمثيل بالأمثلة العربية من أجل تقريب الدراسة للغة العربية. وسأعمد في هذا التقديم إلى تعريفات التداولية، وأهم عناصر التداولية، وفروعها، مع التركيز على أهم جوانب التداولية: وهي الأدوات الإشارية، والافتراضات المسبقة، والاستلزام الحوارية، والأفعال الكلامية، في ضوء السياقات المختلفة التي ترد فيها، باعتبار أن السياق هو المركز الرئيسي لدراسة التداولية.

التداولية (Pragmatics):

ترتبط التداولية بكثير من العلوم: كالفلسفة واللسانيات والاتصال وعلم الاجتماع وعلم النفس... إلخ. ولكن سمتها الغالبة تتجه إلى التوجه العملي، ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية منها: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، إلى جانب التداولية. وأفضل هذه الترجمات (التداولية) إذ هي من تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة.

ويعود مصطلح التداولية (Pragmatics) إلى الفيلسوف الأمريكي موريس Morris الذي استخدمه سنة 1938م دالاً على فرع من فروع علم العلامات Semiotics غير أن التداولية لم تصبح مجالاً يعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة هم (أوستن Austin، وسيرل Searle، وجرايس Grice).

مفهوم التداولية:

اكتسبت التداولية عدداً من التعريفات، حسب اهتمام الباحث نفسه فقد يكون اهتمام الباحث اهتمام بالمعنى في سياقه التواصلية فيعرفها بأنها:

- دراسة المعنى التواصلية أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه، بدرجة تتجاوز معنى ما قاله .

- أو دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية .

كما قد تعرف من وجهة نظر المرسل بأنها: كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجه المرسل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه .

إذن فالتداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم . فمثلاً حين يقول شخص: أنا عطشان (فقد يعني أريد كوب ماء) وليس من الضروري أن يكون إخباراً بأنه عطشان.

فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته .

ومن هنا فإن أشمل تعريف للتداولية هو: دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم

يمكن قراءة كتاب: إبراهيم، إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة (الإسكندرية، دار الوفاء، 1999).
الرويلي، ميجان و البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000) 100.
نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (الإسكندرية، دار المعرفة، 2002) 52.
نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 9. و أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية 13.
الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004) 22.
أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية 8.
الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب 22.
نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 6.
نفسه، 6.

وحده، ولا السامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما . ونتيجة لذلك فإنه يمكن حصر العناصر التي يهتم بها المنظرون للتداولية في: المرسل وقصده ونواياه، والمتلقي، والرسالة، والسياق، ثم أفعال اللغة. "ومن أجل تأويل العناصر التي ترد في خطاب ما، من الضروري أن نعرف من هو المتكلم، ومن هو المستمع، وزمان ومكان إنتاج الخطاب" فمعتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمنية، والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف هي أهم ما تركز عليه التداولية.

فروع التداولية:

- لسعة الدراسات التداولية في اللغة، فقد تفرعت عنها نظريات متعددة، اهتم كل منها بجانب تداولي معين، وتطورت أبحاثه في عدة مسارات، فهناك:
1. التداولية الاجتماعية: التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
 2. التداولية اللغوية: والتي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.
 3. التداولية التطبيقية: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.
 4. التداولية العامة: وهي التي تعنى الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً.

جوانب الدراسة التداولية:

عنت الدراسات التداولية بأكثر من جانب من جوانب الخطاب، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى أربعة مسارات، يتضمن كلاً منها عدداً من الدراسات، وهذه المسارات هي : الإشارات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية.

أولاً – الإهاريات (Deictics):

إن الإهاريات مثل أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان؛ من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات. إلا أنها عامل هام في تكوين بنية الخطاب فلها دور مهم في الإحالة إلى

نفسه، 14.

بوقره، نعمان، التصور التداولي للخطاب اللساني، 83.

خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (بيروت، المركز الثقافي، ط1، 1991) 297 . فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت، عالم المعرفة، أغسطس، 1992) 99. و السيد، عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية (عمّان، دار الحامد، ط1، 2004) 120. و أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، 48. نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 15.

الشهري، عيد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، 24.

بلبع، عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس (فصول، ربيع، عدد 66، 2005) 41.

المعلومات "الإشارات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه" فكل فعل لغوي يكون ناجحاً إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة. فالمتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب. ولتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشارات وسنوضح من خلالها المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف وهي: الإشارات الشخصية، الإشارات الزمانية، الإشارات المكانية، الإشارات الاجتماعية، الإشارات الخطابية.

ويرى بعض الباحثين أن (ال) التي للتعريف تدخل في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفرق بينهما أن اسم الإشارة يدل عليها بالدلالة على القرب والبعد، أما (ال) التي للتعريف فهي غير موسومة بقرب ولا بعد.

١. الإشارات الشخصية :

وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه. مثل: أنا نعسان. فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا). ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قالت امرأة: أنا أم نابليون. فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة.

وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعدد الأشخاص فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر، مثل: دخل خالد القاعة فرأى بكرًا جالساً وراه بكر فابتسم له وصافحه. فإن إحالة الضمير في (ابتسم) و(صافحه) فيها نوع من اللبس في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر.

٢. الإشارات الزمانية :

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التيسر الأمر على السامع أو القارئ. فإذا وجدنا إعلاناً: ستبدأ التخفيضات الأسبوع القادم. فإننا إذا لم نعلم زمن الخطاب (الإعلان) فإننا لا نعرف هل التخفيضات ستبدأ، أم مضى الأسبوع وبدأت

أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، 41.
الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، 81.
دايك، فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2000) 266.
نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 22 وما بعدها.
أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، 47.
نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 18.
نفسه، 18.
المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (الدار البيضاء، دار الثقافة) 144.
أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، 45.
نفسه، 42.

التخفيضات، كما إننا لا نستطيع تحديده على وجه الدقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تماماً.

وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن يقال اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان ، كأن يقال ضرب زيد عمراً يوم الخميس، فالضرب يستغرق جزء من اليوم. وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا بنات اليوم تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة. وكل ذلك موكل إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان.

٣. الإشارات المكانية:

وهي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت، إمام، وخلف. وهذه العناصر الإشارية إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بعداً أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. فلو قال شخص: أحب أن أعمل هنا.

فهل يعني : في هذا المكتب ، أو في هذه المؤسسة، أو في هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذه الدولة... فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه. وتتعد المسألة إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم، مثلاً حين يصف شخص لصديقه مكانه عبر الهاتف: تقع الجامعة على يميني.

فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلا أنه يصعب معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا إذا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل.

٤. إشارات الخطاب:

هناك إشارات للخطاب تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل: ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثم... وهذه الإشارات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق. وقد تستعار إشارات الزمان والمكان لتستخدم إشارات للخطاب فكما يقال: الأسبوع

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 20. و الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، 74.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 22.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 21. و الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، 85.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 22.

الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، 84.

نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 24.

الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النص وتلك القصة.

٥. الإشارات الاجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة. أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد..

فمسألة تحديد نوع العلاقة الاجتماعية بين أطراف الخطاب مسألة نسبية. تختلف من موقف لآخر، ومن حيث قرب أو بعد الأطراف، سواء كان القرب أو البعد مادياً أو اجتماعياً أو نفسياً.

ثانياً - الافتراض السابق (Presupposition):

يوجه المتكلم حديثه إلى المخاطب على أساس مما يفترض سلفاً أنه معلوم له، فإذا قال شخص لآخر: أغلق النافذة. فالمفترض سلفاً أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبرراً يدعو إلى إغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وكل هذا موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب.

ويقرر فينيمان بأن لأي خطاب " رصيذاً من الافتراضات المسبقة (يضم معلومات) مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، والجزء المكتمل من الخطاب ذاته" فلدَى كل طرف من أطراف الخطاب، رصيذ من الافتراضات المسبقة، وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب. وضمن رصيذ الافتراضات المسبقة المصاحبة لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابية. والمعلومة المسلمة هي تلك المعلومة التي يعتبرها المتكلم قابلة لأن نحصل عليها، إما بالإحالة إلى ما سبق من النص أو بالعودة إلى المقام.

وتشير أداة التعريف إلى ما يسمى بالمعلومات السابقة، بينما تؤدي أداة التنكير وظيفية الإشارة إلى معلومات لاحقة، أي إلى وحدات لغوية، لم يوضحها المتكلم بعد، مثل حين نقول:

- كان في قديم الزمان فتاة.. (إشارة إلى معلومة لاحقة يتوقع السامع أن يخبر بها)

- كانت الفتاة جميلة ومتواضعة. (إشارة إلى معلومة سابقة)
لذلك فإن المتلقي يبني فهمه لمعنى السياق على ترتيب معين.

نفسه، 24.

نفسه، 25.

أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية 42.

نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر 26.

ج.ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي (الرياض، جامعة الملك سعود، 1997) 96.

نفسه، 97.

نفسه، 214.

مان، و فيهجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيرى 24.

فالتعريف يعتمد على ما يفترضه المتكلم من علم السامع بالأمر. والتتكير على العكس من ذلك فهي أمور لا يعرف السامع عنها شيئاً، أو لا يعرف أي أمر منها يراد بين أمور عديدة... وقد لا تكون معروفة عند المتكلم أيضاً. وقد التفت النحاة إلى دور المخاطب في الاتصال الكلامي. وجعلوا تعريف الشيء أو تتكيره محكوماً بالعلاقة المفترضة بين المتكلم والمخاطب، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة. فالمنكر لا يحيل إلا على معلومات معجمية أو لغوية مخزونة في ذهن السامع. أما المعرف فإنه يحيل أحياناً على المعلومات المعجمية واللغوية وأحياناً الاصطلاحية، وأحياناً على معلومات تخص أفراد معينين للسامع سابق معرفة بهم.

ويميز الباحثون بين نوعين من الافتراضات المسبقة:

١. المنطقي أو الدلالي.

٢. التداولي.

فبالنسبة للافتراض المنطقي فإنه يستلزم أن تكون الجملتين صحيحتين (الجملة المحكية والجملة المفترضة) مثل:

يعرف محمد أن الأرض كوكب شمسي. فالافتراض المسبق: أن الأرض كوكب شمسي. فإذا كانت الجملة الأولى صحيحة، فإن الجملة المفترضة صحيحة.

أما الافتراض التداولي المسبق فلا دخل له بالصحة أو عدمها. فالافتراض المسبق يبقى غير متأثر بالنفي، فإذا قال شخص:

سيارتي جديدة ثم قال سيارتي ليست جديدة.

فعلى الرغم من تناقض القولين إلا أن الافتراض المسبق وهو أن له سيارة لا يزال قائماً في الحالين. ومن هنا فإن كافة الافتراضات المسبقة هي دائماً صحيحة.

ثالثاً - الاستلزام الحوارية Conversational implicature:

لقد عمد جرايس - أحد المنظرين للتداولية - إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، **فما يقال** هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، و **ما يقصد** هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام. ورأى جرايس أن الاستلزام نوعان:

نحلة، محمود أحمد، التعريف والتتكير بين الدلالة والشكل (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1999) 81. نفسه، 220.

غربية، عبد الجبار، التعريف والتتكير في اللغة العربية (حوليات الجامعة التونسية، العدد 24، 1985) 155. ليش، جيفري و توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق) (الموسوعة اللغوية، تحرير: ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان) (الرياض، جامعة الملك سعود، 2000) 189. نفسه، 190.

نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 33. و ليش، جيفري و توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغماتية (المعنى في السياق، 179.

١. استلزام عرفي.

٢. استلزام حوارِي.

فلاستلزام العرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلف بها السياقات وتغيرت التراكيب. من ذلك (لكن) فهذا يستلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع. مثل: زيد غني لكنه بخيل.

أما الاستلزام الحوارِي: فهو متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها. فحين يقال: كم الساعة؟

فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالاً، وقد يكون توبيخاً للتأخر..

فكان جرائس مشغولاً في كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ لذلك وضع جرائس مفهوم (مبدأ التعاون) بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حوارِي عام. يقول: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار" وقد تفرع عن هذا المبدأ المبادئ التالية:

١. **مبدأ الكم:** يجب أن يكون الحوار مناسب دون زيادة أو نقصان.

٢. **مبدأ الكيف:** لا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس فيه دليل عليه.

٣. **مبدأ المناسبة:** مناسبة الكلام للموضوع.

٤. **مبدأ الطريقة:** أي الوضوح والتحديد مع تجنب الغموض، واللبس، والقيام بالإيجاز وترتيب الكلام.

وكان يرمي بأن الحوار بين البشر يجري على ضوابط وتحكمه قواعد يدركها كل من المخاطب والمتكلم.

فحين يسأل زوج زوجته: أين مفاتيح السيارة؟

فتجيب: على المائدة.

ففي هذا الحوار تتمثل مبادئ التعاون التي قررها جرائس، فقد أجابت الزوجة إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات دون تزييد (الكم)، وأجابت إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال زوجها (المناسبة)، لذلك لم يتولد عن قولها أي استلزام، لأنها قالت ما تقصد.

وخرق مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام. فمثلاً حين تقول أم لولدها: أ تشعر بالنعاس؟ فيجيب: لا أ رغب في تنظيف أسناني. فلا نجد الطفل قد أجاب إجابة مناسبة على السؤال. ولكن ما الذي جعل الطفل يخرق هذا المبدأ، ويجيب إجابة غير

نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 33.

الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب، 121.

روبول، أن وموشلار، جاك، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني (بيروت، دار الطليعة، ط1، 2003) 55.

أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، 54.

نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 35.

المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية (الدار البيضاء، دار الثقافة، ط، 1986) 95.

روبول، أن وموشلار، جاك، التداولية اليوم، 61.

مناسبة! و لكن وفق مبدأ التعاون فنجد الإجابة تستلزم رفض الطفل للنوم، لعدم رغبته في تنظيف أسنانه.

وللاستلزام الحوارية عند جرائس خواص تميزه:

١. الاستلزام ممكن الغاؤه، ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أنني لم أقرأ أي كتاب منها ، فقد ألغت الاستلزام.

٢. الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، أي إن الاستلزام الحوارية متصل بالمعنى الدلالي لما يقال، لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

فإذا قالت أخت لأختها: لا أريدك أن تصعدي لغرفتي على هذا النحو. فتقول الأخرى: أنا أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء. فعلى الرغم من تغيير الصياغة في قول الثانية، فإن ما يستلزم القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً.

٣. الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزمات مختلفة في سياقات مختلفة. فإذا قال شخص: كم يد لي، فقد يكون سؤالاً حين يوجه لطفل مثلاً، وقد يكون هذا السؤال يستلزم استنكار لما يوجه له من عمل. فيختلف الاستلزام حسب السياق الوارد.

٤. الاستلزام يمكن تقديره، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. فإذا قيل مثلاً: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إلي خبراً بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية، والمفروض أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون أي أنه لا يريد بي خداعاً ولا تضليلاً، فماذا يريد أن يقول؟ لا بد أنه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة وقوة التحمل، وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى غير الحرفي ، فلجأ لهذا التعبير. وهذه العمليات الاستدلالية من أجل الوصول إلى المعنى المطلوب من الأمور التي تركز عليها التداولية.

رابعاً – الأفعال الكلامية **Speech acts** :

هذه الأفعال هي أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في سياق مناسب، بجملة نعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل. فليس التلفظ بالخطاب فعلاً تصويطياً فحسب، بل هو فعل لغوي، فهناك أعمال لا يمكن إنجازها إلا من

نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 38.

نفسه، 38.

نفسه، 39.

نفسه، 39 وما بعدها.

طالب، عثمان، البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية (الجامعة التونسية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات،

خلال اللغة، وهذا ما يجعل الخطاب فعلاً بمجرد التلفظ به، وذلك مثل: نلتمس الموافقة. شكراً. أنت طالق. ويمكن تقسيم هذه الأفعال إلى:

١. أفعال إخبارية: تصف وقائع، وتكون صادقة أو كاذبة.
 ٢. أفعال أدائية: ننجز بها في ظروف ملائمة أفعال، ولا توصف بصدق أو كذب، ويدخل فيها: التسمية، والوصية، والاعتذار، والشكر، والمواساة، والنصح، والوعد، والتحدي، والإذن...إلخ.
- *وقد وجد أوستن - أحد فلاسفة اللغة المنظرين للتداولية - أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر:

١. الفعل اللفظي: يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.
 ٢. الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي. (كالتحذير من عمل شيء، أو رجاء عمل شيء...)
 ٣. الفعل التأثيري: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع (أن يسعد، أن يغضب...).
- فعلى سبيل المثال: حين تقول أم لطفلها: (الكلب يعض) فإنها تنجز فعلاً قولياً لفظياً منطوقاً، وحين تقول الأم هذه الجملة فإنها تنطق تحذيراً في الوقت نفسه أي تنجز فعلاً إنجازياً، وحين يختار الطفل طريقاً آخر فإن ذلك هو النتيجة والأثر للمنطوق نفسه.
- *وقد قدم أوستن تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى:
١. الحكيمية: وتقوم على الإعلان عن حكم تأسس على البداهة مثل: إخلاء الذمة، واعتباره كالوعد.
 ٢. التمرسية: تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف...إلخ.
 ٣. التكليف: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل: وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وأقسم...إلخ.
 ٤. العرضية: تستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أنكر، أجاب، أكد...إلخ.
 ٥. السلوكيات: يتعلق الأمر بردود فعل اتجاه سلوك الآخر، مثل: الاعتذار، الشكر، التهنية...إلخ.

صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين (الرياض، مجلة الدراسات اللغوية، يوليو- سبتمبر، 2004) 199. و أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، 60.
أرمينكو، المقاربة التداولية، 61. و نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 44. و ليش، و توماس، اللغة والمعنى والسياق، 175.
الشهري، إستراتيجيات الخطاب، 75. مان، فولنجاج هانيه و فيهفجر، ديتز، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيرى (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004) 55.
مان، و فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيرى، 55.
أرمينكو، المقاربة التداولية، 62.

وعلى الرغم مما قدمه أوستن إلا إنه لم يكن كافياً، فجاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية، فقد لمس بعض الاضطراب في تصنيف أوستن، فارتكزت إعادته للتصنيف على عدد من المعايير هي:

- نص سيرل على أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وأن للقوة الإنجازية دليلاً يسمى دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجمله، ويتمثل في نظام الجمله، والنبر، والتنغيم، وعلامات الترقيم.
 - الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضاً بالعرف اللغوي والاجتماعي.
 - قدم سيرل تصنيفاً بديلاً لما قدمه أوستن من تصنيف للأفعال الكلامية، على ثلاثة أسس منهجية هي:
 ١. الغرض الإنجازي.
 ٢. اتجاه المطابقة.
 ٣. شرط الإخلاص.وقد جعلها خمسة أصناف:
- *الإعلانات (التوكيدات): تلزم المتكلم بصحة محتوى إخباري معين (الإدعاء، الإعلان...)
- *التوجيهات (الإرشادية): تحدث تأثير ما عبر فعل المستمع (كالأمر، والطلب، أو التوسل..)
- *الإلزاميات (التعهديات): تلزم المتكلم بفعل مستقبلي (كالوعد، العرض، أو القسم..)
- *التعبيرات: تعبر عن حالة نفسية معينة (كالشكر، والاعتذار، والتهنئة..)
- *الإخباريات: يؤدي تنفيذها إلى تناظر بين المحتوى الإخباري والواقع (كتسمية المولود، أو تسمية السفينة...)
- استطاع سيرل أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الإنجازية غير المباشرة، فبين أن الأفعال الإنجازية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي أن ما يقال مطابق لما يُعنى، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم. ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد. وهذه المراحل الاستدلالية التي يمر بها الذهن هو ما تركز عليه الدراسة التداولية.

نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 47.

نفسه، 47.

نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 49. الشهري، إستراتيجيات الخطاب، 158. ليش، و توماس، اللغة والمعنى والسياق، 179. و الطبطبائي، طالب، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين

العرب (الكويت، جامعة الكويت، 1994) 30-32.

نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 51.

الشهري، إستراتيجيات الخطاب، 117.

مثل ذلك إذا قال شخص لآخر: هل تستطيع أن تتاولني الملح؟ فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل للاستفهام (هل). لكن الاستفهام غير مراد المتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح.

وقد لاحظ سيرل أن أهم البواعث للأفعال الإنجازية غير المباشرة هو التأدب في الحديث. كما أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة عند سيرل لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الإنجازي الحرفي، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل معنى المتكلم، وأن السامع يصل إلى هذا المراد من خلال مبدأ التعاون الحوارية عند جرايس، وإستراتيجية الاستنتاج عند سيرل.

ويرى سيرل بأن هناك أمور تحكم الأفعال الإنجازية:

١. اختلاف الترتيب بين الكلمات والأشياء، ويتعلق الأمر بالنسبة للآخرين بالحصول على مطابقة العالم للكلمات. فلتكن الكلمات الأولى مثلاً إذن توكيدات، والثانية وعوداً أو أوامر..
٢. اختلافات بالنسبة لغاية الفعل.
٣. اختلافات تمس الحالة النفسية المعبر عنها.
٤. الاختلاف في حدة الالتزام المعبر عنه في التقديم وجهة الإنجاز.
٥. اختلاف مقياس أوضاع المتكلم والمستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.
٦. الاختلاف في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم والمستمع.
٧. اختلافات في العلاقة بمجموع الخطاب والسياق الخطابي.
٨. اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي.

الخاتمة:

- لعله قد ظهر مما قدمت ما للاتجاه التداولي من أهمية بالغة في الدرس اللغوي، فهو يقدم نموذجاً لدراسة اللغة التي نتخاطب بها، في ضوء السياق، والظروف المحيطة. **و نتيجة لذلك لعلي أشير هنا إلى أهم ما خلص له البحث:**
- إنه لا فائدة من دراسة اللغة دراسة شكلية بعيدة عن السياق الاجتماعي والثقافي، بل لا بد من اتحاد الاثنين.
 - من أهم أهداف الدراسة التداولية: عدم الاعتماد على المعنى الحرفي لمعرفة مقاصد المتكلم.
 - تقوم الدراسة التداولية على دراسة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من خلال ما يقول. ودراسة عمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، وهو يحلل الخطاب حتى يصل للمعنى المطلوب.
 - تتطلب الدراسة التداولية النظر في مضمون كلام المتكلم، وفق اعتبارات مختلفة منها: هوية المخاطب، ومكان الخطاب، وزمن الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب.
 - معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، ونوع العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الأطراف، هي أهم ما تركز عليه التداولية.
 - تعتمد الدراسة التداولية إلى دراسة الأدوات الإشارية التي تعد من المبهمات، التي لا يتحدد مرجعها إلا من خلال السياق المادي والاجتماعي. غير أنها تجعل اللغة تتجدد فيما تحيل إليه، فهي تشكل بنية أساسية في الخطاب.
 - ومفهوم الزمن، ومفهوم القرب والبعد الذي تشير إليه، لا يتحدد إلا من خلال سياق الحال، والمقام الذي يدور فيه الخطاب.
 - الإحالة إلى عنصر لغوي سابق أو لاحق، هو الحكم في تنكير عنصر لغوي أو تعريفه. و المتكلم يراعي حال المخاطب، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة ليعلمه به.
 - المتكلم يشكل المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة نسبية القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب.
 - أيضاً تعتمد الدراسة التداولية إلى دراسة الأفعال الكلامية التي تنجز من خلال عملية الخطاب، كالالتماس والرجاء والشكر والعتاب والنصح والوعد..

والله من وراء القصد.

المراجع:

١. إبراهيم، إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة (الإسكندرية، دار الوفاء، 1999).
٢. أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش (الرباط، مركز الإنماء القومي، 1986).
٣. بلبع، عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس (فصول، ربيع، عدد 66، 2005).
٤. بوقره، نعمان، التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون (مجلة الرافد، يناير، 2006).
٥. ج.ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطني ومنير التريكي (الرياض، جامعة الملك سعود، 1997).
٦. خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (بيروت، المركز الثقافي، ط1، 1991).
٧. دايك، فان، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني (الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2000).
٨. روبول، آن وموشلار، جاك، التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني (بيروت، دار الطليعة، ط1، 2003).
٩. الرويلي، ميجان و البازعي سعد، دليل الناقد الأدبي (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000).
١٠. السيد، عبد الحميد مصطفى، دراسات في اللسانيات العربية (عمّان، دار الحامد، ط1، 2004).
١١. الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية (بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1، 2004).
١٢. صحراوي، مسعود، الأفعال الكلامية عند الأصوليين (الرياض، مجلة الدراسات اللغوية، يوليو- سبتمبر، 2004).
١٣. طالب، عثمان، البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية (الجامعة التونسية، أشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، 1986).
١٤. الطبطبائي، طالب، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب (الكويت، جامعة الكويت، 1994).
١٥. غربية، عبد الجبار، التعريف والتكثير في اللغة العربية (حوليات الجامعة التونسية، العدد 24، 1985).
١٦. فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص (الكويت، عالم المعرفة، أغسطس، 1992).
١٧. ليش، جيفري و توماس، جيني، اللغة والمعنى والسياق: البراغمية (المعنى في السياق) (الموسوعة اللغوية، تحرير: ن. ي. كولنج، ترجمة: محي الدين حميدي و عبد الله الحميدان (الرياض، جامعة الملك سعود، 2000).

١٨. مان، فولنجانج هانيه و فيهفجر، ديتر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد بحيري (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2004).
١٩. المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية (الدار البيضاء، دار الثقافة، ط1، 1986).
٢٠. المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (الدار البيضاء، دار الثقافة).
٢١. نحلة، محمود أحمد، التعريف والتذكير بين الدلالة والشكل (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1999).
٢٢. نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (الإسكندرية، دار المعرفة، 2002).

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
1	تمهيد
2	التداولية Pragmatics
2	مفهوم التداولية
3	فروع التداولية
3	جوانب الدراسة التداولية
3	أولاً - الإشارات Deictics
4	١. الإشارات الشخصية
4	٢. الإشارات الزمانية
5	٣. الإشارات المكانية
5	٤. إشارات الخطاب
6	٥. الإشارات الاجتماعية
6	ثانياً - الافتراض السابق Presupposition
7	ثالثاً - الاستلزام الحواري Conversational implicature
9	رابعاً - الأفعال الكلامية Speech acts
13	الخاتمة
14	المراجع

المملكة العربية السعودية.
جامعة الملك سعود.
عمادة الدراسات العليا.
قسم اللغة العربية وأدابها.

المقاربة التشاركية

(قضية لغوية)

إعداد الطالبة: ليلى آل حماد

الرقم الجامعي: 426221138

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد الزليطني

الفصل الدراسي الأول / المستوى الثالث.

1427 1428 هـ .

